

التمثيلات الثقافية والمخيال الاجتماعي تيمة المرأة في رواية سرير الألم لزهرة عز

Cultural representations and the social imagination, the theme of the woman in the novel  
The Bed of Pain of the Ezz Jolt

د. علي بولعلام

جامعة مولاي إسماعيل . مكناس . (المغرب) [lingdroit@gmail.com](mailto:lingdroit@gmail.com)

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الارسال: 2020/12/15	في ظل هذا السياق الاجتماعي الذي انبرت المقاربة السوسولوجية لاستجلاء أنساقه الثقافية، تشكلت معالم رؤية حقوقية تروم تمكين المرأة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وذلك باستلهاهم مضامين المواثيق والمعاهدات الدولية، والسعي نحو تضمينها في صلب التشريعات الوطنية، ولاسيما ضمن الوثيقة الدستورية التي تشكل كنه البناء القانوني ومنصة الفعل المؤسساتي.
تاريخ القبول: 2020/12/15	
<b>الكلمات المفتاحية:</b> ✓ التمثيلات الثقافية ✓ المخيال الاجتماعي ✓ المقاربة ✓ الوثيقة ✓ الرواية	حيث إن معظم الدول العربية والاسلامية أصبحت جزءا من المنتظم الدولي، وبذلك أصبحت ملزمة على المصادقة والتوقيع على بنود الاتفاقيات والمواثيق الدولية، وفق رؤية تستدمج الخصوصيات المحلية، وتهدف من خلال هذه الدراسة إلى تتبع التمثيلات الثقافية والمخيال الاجتماعي تيمة المرأة في رواية سرير الألم لزهرة عز.
<b>Article info</b>	<b>Abstract :</b>
Received 15/12/2020 Accepted 15/12/2020	<i>In light of this social context in which the sociological approach developed to clarify its cultural patterns, Landmarks of a human rights vision have been formed that aim to empower women politically, economically and socially, And strive to include it in the core of national legislation, Especially within the constitutional document, which is the essence of the legal structure and the platform for institutional action. As most Arab and Islamic countries have become part of the international system, Thus, it has become obligated to ratify and sign the provisions of international agreements and conventions, according to a vision that incorporates local specificities, Through this study, we aim to trace the cultural representations and the social imagination, the theme of the woman in the novel The Bed of Pain of the Ezz Jolt .</i>
<b>Keywords:</b> ✓ Cultura representations ✓ The social imagination ✓ Approach ✓ Document	

المؤلف المرسل : علي بولعلام.

مما لاشك فيه، أن المسألة النسائية شكلت مجالا مشتركا لاهتمامات معرفية متعددة، سعت في مجملها إلى إمطة اللثام عن مناطق الظل التي ظلت تحيط بها، والنظر في قضاياها من زوايا مختلفة، امتلك الجانب السوسيولوجي ناصيتها المنهجية وقطبها الموضوعاتي، وذلك لاعتبارات ارتبطت في جوهرها بوضعية المرأة داخل النسق الاجتماعي المغربي، الذي كرس دونيتها وأنتج حولها حمولة ثقافية تؤطرها في ذلك عقلية ذكورية، كاجحة لكل المحاولات الرامية لإدماجها في منظومة الحياة العامة.

هذا النسق الفكري السائد حول وضعية المرأة في السياق المغربي، لا يمكن فصله في مجمله عن المدخلات الرئيسية التي تشكلت حولها المسألة النسائية أو النسوية<sup>1</sup> على المستوى الكوني العام، سواء في أبعادها الحقوقية والإنسانية أو في منعطفاتها القانونية والسياسية ذات الارتباط الوثيق بالمسألة الديمقراطية في علاقتها بأنظمة الحكم وأنماطه الأيديولوجية، والتي شكلت في جوهرها مقياسا حقيقيا للكينونة الوجودية للمرأة داخل البنيات الاجتماعية والتنظيمات التمثيلية التي تؤثت بنيان الدولة والمجتمع، حيث اتسمت في مجملها بالازدواج الانفصامي بين حداثة القشور وثقافة ذكورية عابرة لأجساد النساء، اللائي لا ينظر إليهن إلا من زاوية الفتنة والوآد الاجتماعي.

غير أن مبدأ الخصوصية ظل حاضرا في المسار التاريخي للحركة النسائية، وذلك من منطلق يرتكز في عمقه على البعد الهوياتي لكل مجتمع، حيث وجهت عدة انتقادات للحركة النسائية الناشئة في الغرب، بدعوى أنها حركة اجتماعية ترغب في فرض هيمنتها على الخصوصيات الثقافية تحت ذريعة الكونية، لذلك ظل التخوف يملك أيضا النساء المغربيات معتبرة الحركة النسائية الغربية مجرد مقايضة نزعة أبوية بأخرى، مما أدى إلى ظهور متعدد للحركة النسائية يحمل صفة الهوية الذاتية، من قبيل الحركة النسائية الإسلامية التي ظلت تبحث عن فكر نسائي مستدم يستمد أصوله من الثقافة الأهلية، أو بعبارة أخرى البحث عن مد نسائي داخلي يتم إنتاجه محليا<sup>2</sup>، ومحاوله تجاوز النزعة النسوية الغربية التي تتسم في جوهرها بالتمركز الذاتي.

وتجدر الإشارة إلى أن ثنائية المحلي والكوني قد انعكست حتما على مستوى بنية الدستور المغربي عبر تطوره ومسارته، من خلال إثارة العلاقة التراتبية بين الاتفاقات الدولية والتشريعات الوطنية بشأن حقوق المرأة، حيث ظلت في غالبيتها مشوبة بالغموض أنتجت في مجملها تأويلات متعددة، بيد أن دستور 2011 حاول تجاوز هذه الوضعية، مما أسهم في ردم الهوة نسبيا، والتمكن من رسم توجه مندمج صوب بلورة منظومة حقوقية نسائية تمتح من الخصوصية والكونية، تجسدت باللموس في الباب الثاني من الدستور 2011، التي تشكل اللبنة الأساسية لمبدأ المناصفة باعتباره الوسيلة والغاية لإدماج المرأة في الحياة العامة وفق رؤية قائمة على التكافؤ والمساواة ومكافحة كل أشكال التمييز، بل أصبحت من مشمولات إشكالية عامة تدرج في إطار مقارنة أفقية لإدماج النوع الاجتماعي خلال إعداد السياسات العمومية في أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بل تعد من العناوين البارزة للمشروع المجتمعي التنموي، إذ توفر هذه الإشكالية الإطار التحليلي المناسب الكفيل بتوجيه المسألة التنموية صوب إدماج الأفراد الذين يحتاجون إليها .

وفي ظل هذا السياق الاجتماعي الذي انبرت المقاربة السوسولوجية لاستجلاء أنساقه الثقافية، تشكلت معالم رؤية حقوقية تروم تمكين المرأة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وذلك باستلها مضماني الموائيق والمعاهدات الدولية، والسعي نحو تضمينها في صلب التشريعات الوطنية، ولاسيما ضمن الوثيقة الدستورية التي تشكل كنه البناء القانوني ومنصة الفعل المؤسساتي، حيث إن معظم الدول العربية والاسلامية أصبحت جزءا من المنتظم الدولي، وبذلك أصبحت ملزمة على المصادقة والتوقيع على بنود الاتفاقيات والموائيق الدولية، وفق رؤية تستدمج الخصوصيات المحلية، مما أدى إلى إثارة إشكالية التوفيق بين المنظومتين الدولية والمحلية، انبت حولها عدة أطروحات فكرية تسعى إلى البحث عن مواطن الاتفاق قصد تجاوز أوجه التعارض التي تطفو على السطح بين الفينة والأخرى، والتي تفرز أحيانا مساحات رمادية تثير نقاشات مستمرة حول الإشكالية الحقوقية تتأرجح بين التوافق والتضارب حسب المرجعيات والمسلكيات الثقافية.

بموازاة هذا الجدل الفكري، انبثقت البوادر الأولى لحركة نسائية تروم التخلص من أسر عقلية ذكورية تكبح سيرورتها الوجودية السائرة نحو العدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق والمناصفة في الفعل والتمثيل المؤسساتي، رافضة لكل أشكال التسيد الذكوري داخل النمط الأبوي القائم على الهيمنة والخنوع، والهادف إلى إرساء دعائم بنية مجتمعية تحكمها ثنائية الشيخ والمريد. وقد انطلقت في بدايتها بالسعي نحو انتزاع وعي فردي بحقوق المرأة، ثم الانتقال نحو ترسيخ وعي جمعي، بإمكانه إحداث خلخلة في موازين القوى الجنسية بغية تثبيت حقوق المرأة وتجاوز كل أشكال التمييز، تسنده في ذلك خلفية فكرية تقوض الأسس الثقافية للأنظمة الأبوية.

وبذلك شكل موضوع المرأة مجالا خصبا أثرى الخطاب حول المسألة النسائية كميًا، بلغة أعلنت اغترابها عن جوهر الحياة الإنسانية بين الرجل و المرأة كحياة أساسها الوجود الاجتماعي والتاريخي الذي يطبعه الاختلاف البيولوجي والثقافي<sup>3</sup>، هذا الخطاب انطلى في جزء منه بسحنة محافظة تريد الإبقاء على بنية مجتمعية متمركزة حول الذات الذكورية يشكل معيار الجنس مقوما لها، رافضة بذلك الاعتراف بإنسانية المرأة، وفي جزء آخر بصرخة نسوية حاملة لخطاب طوباوي يتمثل "بمجتمع بدون رجال" وعاكسة لسيكولوجية الإنسان المقهور، المغلوب على أمره، الذي تعرض لفرض السطوة عليه من قبل المتسلط (الرجل) عنوة<sup>4</sup>، بل التنكر أحيانا للأنوثة السالبة للحقوق، وظهور موجة جديدة في الخطاب النسائي تعكس رفض الأنثى لأنوثتها أو بعبارة أخرى أنثى ضد الأنوثة على حد تعبير جورج طرايشي في دراسته النقدية للأعمال الأدبية لنوال السعداوي، وهذا ما أكدته فاطمة المريني في إحدى حواراتها قائلة "لم أكن أبدا امرأة، كنت دائما إنسانا، إن الآخرين هم الذين يريدون أن أكون امرأة لكن أنا لا أتجزأ، أنظر إلى العالم كإنسان بأنوثتي، بذكائي، برغبتي في السعادة والإبداع. والمشكل أن المجتمع يريد أن ينظر إلي كأجزاء يمزقي، يختزني فيما يسميه المجتمع بالمرأة أي النهود والأرداف وليس العقل"<sup>5</sup>، وبصيغة أخرى هذا ما يؤكد جون رولز في مقارنته لمفهوم العدالة، حيث اعتبر قضية المساواة بين الجنسين ترتبط في عمقها بكيفية التعامل مع مؤسسة العائلة، باعتبارها حسب تصوره إحدى المواطن الرديئة السمعة على صعيد التراتب بين الجنسين، وإنكار المساواة بالفرص، إضافة إلى

ممارسة العنف والإذلال ضد الجنس الآخر (المرأة)<sup>6</sup>، ويتخلل هذين التوجهين خطاب اتسم بالواقعية و النزاهة الفكرية، شكل منطلقا معرفيا وجسرا رابطا بين بعد ثقافي و مقاربات مجسدة له عبر مسارات حقوقية، تشاركية، تنموية وقانونية، اندمجت كلها في نقطة تقاطع اصطلاح عليه ب "مقاربة النوع".

#### أ - سرير الألم وسؤال المرأة:

من المؤكد أن القضية النسوية من خلال التجربة المغربية ظلت محكومة عبر مسارها التاريخي بتجاذب إيديولوجي يتوزعه اتجاهان اثنان ، أحدهما محافظ والآخر حديثي ، تنكشف تجلياته عبر تداول خطابي تعدد أنساقه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بيد أن الوضعية الواقعية للمرأة ظلت تراوح مكانها مؤطرة في ذلك بذهنية جماعية مناهضة لكل أشكال التغيير، محاولة بذلك الإبقاء على بنية مجتمعية قائمة على أطروحة مركزية تركز دونية المرأة.

هذا المعطى الواقعي شكل قلقا فكريا تعددت الرؤى حوله، بل هاجسا يوميا طبع تطلعات الحركة النسائية المغربية، التي عرفت خلال تطورها ثلاث مراحل أساسية في رأي الباحثة زكية داوود؛ يمكن إجمالها فيما يلي:

**المرحلة الأولى:** وهي المرحلة الممتدة من 1900 إلى 1965 واتسمت بالتطور المكبوح *contrastée evolution*

الناج عن غياب استقرار سياسي ؛

**المرحلة الثانية:** وتمتد من سنة 1965 إلى 1985، وقد أطلقت عليها الباحثة فترة " الشتاء الطويل " *long hiver*

بسبب تواجد الحركة النسائية داخل تنظيمات حزبية مناوئة للتوجهات الرسمية، مما جعلها تعاني من وضعية مطبوعة بالصراع؛

**المرحلة الثالثة:** وتبتدئ من سنة 1985 إلى سنة 1992، وهي مرحلة أسمىها الباحثة بانفجار القدرات " *explosion*

*des potentialités* "، حيث بدأت الجمعيات النسائية تستقل عن الأحزاب السياسية<sup>7</sup>.

هذا القلق الفكري حول وضعية المرأة شكل تيمة أساسية في الإنتاج الأدبي بكل تجلياته الثرية والشعرية، تنسج خيوطه التمثيلات الثقافية الناتجة عن طبيعة الهايتوس المحدد لمخيال اجتماعي تتجاذبه ذهنية جماعية كاسحة لعقليات فردية، هذا المفهوم الحامل لأبعاد متعددة يتجاسر داخل بنيته العملية الجسدي والقيمي والمعرفي<sup>8</sup> ، وتسبح في فلكه سيكولوجية جماهيرية غير قادرة على الانخراط في سيرورة التفكيك والتركيب أو بعبارة أخرى تعيب ممارسة نوع من التوازن الدينامي حسب مفهوم النظرية الوظيفية الجديدة<sup>9</sup>، حيث تركز حتما بفعل تكلسها لمسلكيات منتجة لهدر مسترسل، ذواتها نساء خارج الزمن التنموي، يجعل الألم يدب في مفاصل الأنثى عبر منحنيات اجتماعية واشمة في خفائها وتجليها دونية المرأة، تلك هي البداية التي وشمّت لأولوة المبدعة زهرة عز سرير الألم، حيث اجتمعت الأضداد لتتجاسر الابتسامة بالسواد والأشواك بالورود، لوحة غريبة بحجم غرابية الأنثى في ذاتها وتقلبات صورتها في متخيل عقلية ذكورية، بحث عبثي عن أفق مجهول بفعل ينشد الأمل لكن صيغته تتسم بالجمود في تعالق مع سواد يلبسها، يتجدد ويستمر أفقدها توازنها لتتحول رمزية السرير إلى بنية متلازمة استك الألم إلى جانب السرير، فانطلق الحكي بخلطة متجاذبة بين الأمل واليأس، تتناسل الأحداث من خلال الاستهلال بعبارة: "ابتسم قلب كريمة،

رغم السواد الذي يلبسها. بأحشائها، بذرةً تنمو، أنارت كل دهاليزها المظلمة. تقلبت كريمة على سرير الألم وهي تحاول أن تنزع أشواك أرق تدميها، وتشر ورود أحلام تدغدغها"<sup>10</sup>.

## 1. عتبة النص:

إن عنوان الرواية<sup>11</sup> يوحي للوهلة الأولى باستشكال وجودي، تتحدد إوالياته من خلال علاقة مستفزة بين السرير والألم، وبالتالي الانزياح عن وضعية طبيعية طالما تنبثق عن توليفة دلالية بين السرير وبنية سردية تتفاعل داخل حقل دلالي موسوم بالأمل والغبطة والفرح والسكينة، هذا الانزياح النفسي يشعنا منذ البدء بتنميط اجتماعي تديره ثنائية الأنوثة في مقابل الذكورة، فوظيفة السرير تتحدد من خلال طبيعة الجنس، حيث يخضع لوضعية حربائية تتراقص فوقه التمثلات الثقافية والتخييلات الاجتماعية، إنه سرير بطعم الألم الأنثوي، وبنكهة أمل ذكورية تتوخاها "كريمة" بطلة الرواية من خلال بحثها المتواصل عن فارس أحلام تطارده عبر مسالك الحلم ودروب الرغبة في الإمساك ببذرة قد تخلصها من دهاليز مظلمة حالكة وظلم اجتماعي متواصل.

عملية البحث عن الخلاص تحمل في طياتها رؤية أنثى لأنوثتها، عبر السير في متاهات الزمن الحكائي للقبض على أمل ذكوري، تتلذذ البطلة في صوغ تظاهراته التائهة بين الوصل والفصل والخفاء والتجلي والحلم واليقظة، أملها وألمها يتجادلان ويتراقصان حولها، احتارت بينهما، أي فارس تختار!<sup>12</sup>، ثنائية شائكة شكلت حضورا قويا داخل البنية المعجمية للرواية، تخضع في تموجاتها النصية للنوتات النفسية للبطلة، تتناثرها نظيمة تركيبية تبدو أحيانا غير متجانسة، لكن تشي بنسقية متناغمة مستعارة من وضع سيكولوجي شارد تتنابه هزات تعصف به أحيانا نحو المجهول، ترسم معالمه في لحظات متعددة دائرة ضبابية يتجاوز داخلها الألم بالأمل، إنها حيوات متعددة لكن متجاوزة.

إن الركض خلف فارس زبقي داخل شكل دائري حكاكي مغلق، تثقله عقلية ذكورية متفوقة حول ذاتها، جعل البطلة تتوارى خلف إلهام غيبي لتستريح من رحلة بحث شاقة، عليها أن تكون نقطة داخل دائرة فارسها، تتدحرج معها أينما حلت وارتحلت<sup>13</sup>، إنها لعبة الأشكال الهندسية في ترسيم خريطة اجتماعية غير متوازنة، يحكمها الجزء في علاقته بالكل، وعدم تكافؤ المساحات داخل بنية مجتمعية تمتلك داخلها المرأة حيزا مكانيا لا يتجاوز نقطة، في مقابل دائرة ذكورية بكاملها تتسم بالهيمنة والانغلاق. هذه السمفونية الحزينة تسائل طرق تشكل الأشكال الهندسية الاجتماعية، وطبيعة معماريتها الثقافية التي تجعل الخيال محاصرا في أشكال هندسية تقليدية تنأى به عن الإبداع وفك أسر السلوك الاجتماعي الجامد.

## 2. البنية المعجمية وتنمية الحكى النسائي:

يعد النص الروائي في مدلوله العام سلسلة من التحولات الخاضعة لعملية التنقيص، باعتبارها مجموعة من الاجراءات المشفرة التي تنظم طقس العبور من الواقع الى المتخيل، والتي تؤلف شروط اعمال النص والثامه. وهو ما يتحقق في المستويات اللسانية والمعجمية والأسلوبية والتلفظية، كذا في مستويات أخرى ذات صلة بالسرد والميطاسرد والتعوير والتوضيب السردى<sup>14</sup>.

فالمعجم السردى لزهرة عز يرتكز لمقومات لغوية فصيحة، تتخللها حالات شرود تتاب مسار الحكى من خلال استعمال ألفاظ عامية تنحتها من صميم المعيش اليومي، تستنفر القارئ وتثير تساؤلاته حول المتن المعجمي المتعدد الروافد، تستجليه أحيانا الطبيعة المركبة لتيمة المرأة ضمن المتن الروائي العزى، حيث تتفاسمها عملية البحث عن حاجيات عليا أحيانا، لتركن في أحيان كثيرة لقساوة مستلزماتها الضرورية حسب التصور الماسلوي، هذا الانشطار المتشظي بين الرغبة في البحث عن موقع اعتباري وتقديري عبر رؤية تحكمها خلفية البحث عن حق الاستعراف، والانصهار داخل بنية اجتماعية مقهورة مهدورة تخلخل كينونتها الوجودية، تنشأ عنها عملية الكر والفر بين الانشطار والانصهار التي أصبحت قناة محددة لتعدد لغوي يمتح من لغتين تتجاذبان الشخصية الحكائية، فتارة الفصيح المدبج وتارة أخرى العامي المرتجل.

إن البنية المعجمية داخل المتن الروائي تتصاقب وتنسكب داخل صيغ تمتح من حياة سائلة، تنفلت من أسر الرتبة والجمود، تتشكل داخلها الشخصيات حسب الأحداث ومنسوب التردد داخل مشاهد حكاية متناقضة، لا تحتكم للبعد الكمي بل تراهن على حضور نوعي يكابد عقبات كأداء بحجم تيمة المرأة داخل النسق العام للرواية، كريمة بطلة الرواية جسدت مشهدا متجانسا بين حضورها النوعي وورودها الكمي (123 مرة)، تعكسه التنظيمة الإحصائية المستخلصة عبر توظيف منصة إنتكس:

The screenshot shows the AntConc software interface. The search query is 'كريمة' (Karama). The results table shows the following entries:

Text	After	Seq.	Before
أعاد قرع الباب، كريمة لواقمها، الساعة تجاوزت العاشرة صباحا، إنها سليمة، أم الح	كريمة	1	في الحياة والكتابة ابتم قلب
أختي كريمة. هناك رجل يرغب بلقائك، يقول إنه من عائلة المرحوم الحاج الطاهر...	كريمة	1	أثارت كل دهاليزها المظلمة تقلبت
كان الرجل كهلا، متوسط الطول، أبيض اللون وحذينا، وليس كثرة صوفية ومعلقا أس	كريمة	1	القادم منهما وإليهما أجمل، ووجدت
مرحيا بك، أهلا وسهلا تفضل، أنا أرملة الحاج سابقا، اسمي كريمة.	كريمة	1	يوسف سعيدا ذلك اليوم، أخبرته
شكرا سيدي، أنا أحمد، أسكن فاس وأنا من تاونات.	كريمة	12	قتيلا وأراحت الصديقين منه.. تتذكر
أنت من أقرىء الحاج؟ لم أرك قبل اليوم ولم يحدثني عنك أبدا.	كريمة	1	السنين من العطاء. تتذكر جيدا
أنا ابن خالة زوجته الأولى، المرحومة نعيمة، انتيبت كريمة، أنه نطق اسمها بمرارة	كريمة	2	بعد وفاة زوجها المرني. سألتها
تفضل، أخي مرحبا بك.	كريمة	1	كل شهداء الحرية، نظرت إلى
ارتاح أحمد لاستقبال كريمة ووجهها البشوش وجلس مرآحا يحكي لها سبب زيارته.	كريمة	1	وأرضهم، لما تحرر الوطن. تستعيد
أنا استغل بسلك التظلم، وحضرت خصيصا للدار البيضاء لأتفرغ رغبة خالتي المريضا	كريمة	1	والجبناء أمام شيخ القبيلة. تتذكر
تعرف أن ليلى ابنة المرحوم، بأمريكا مع زوجها، حتى أنها لم تحضر دفن والدها.	كريمة	1	مكان دفنها... أعاد قرع الباب
خالتي تحضن وترغب بالتواصل معها، هذه أميبتها الوحيدة، قالت لي أخاف عندما أت	كريمة	1	سليمة، أم الجميلة بسمة أختي
سأجيبها؟؟ ويكت حتى فنتت الوعي، وكان لا بد لي أن أحضر ربما تساعديني في تك	كريمة	1	أنا أرملة الحاج سابقا، اسمي
أسأصل بها أعذك، وأعطيك رقم هاتفها أيضا إذا رغبت. حدثني أولا كيف التقي الح	كريمة	1	زوجته الأولى، المرحومة نعيمة، انتيبت
كان والد الحاج الطاهر، الحاج إدريس من الأعيان الجدد، الذين حصلوا بعد الاستقلال	كريمة	1	
إطار مخطط الاستيطان الذي كانت تنهجه إبان احتلالها للمغرب ونزف ثرواته، قل	كريمة	1	
المملكة. كانوا بالمسترات، ورتوا من الاستعمار، وورثت. لم يكن إدريس مقاوم	كريمة	1	
يصنع البلغة الفاسية، لكنه كان ماركسا حاد النكاه، لا تقوته شاردة من أخبار الصناع	كريمة	1	

شخصية البطلة "كريمة" تتوزع مواقعها عبر سيرورة حكاية تتسم بالتجديد والحركية، من خلال تفاعلها مع شخصيات متعددة، انطلقت في رحلتها مع يوسف الذي كان "ينظر إليها بحب عبر مسافة طريق تفصل بينهما"<sup>15</sup> انتهجت في صدر الحكى أسلوب التعظيم من خلال استعمالها للضمير العائد "الهاء"، الذي لا يميل على لفظ سابق عليه، فكانت بذلك تنحو صوب المغامرة منذ البداية أشبه بنوع من القفز في الفراغ، إطلالة يوسف في حلقة حكيها شكل إبداعي تطبعه المؤازرة في أغلب اللحظات، حيث تردد حضوره عبر مواقف مختلفة (128 مرة)، هذا التقارب العددي بين البطلة وفارس أحلامها يشي باستراتيجية حلم في الأمل قد يخلصها من معاناة نفسية مرهونة بسرير للألم شكل الحاج الطاهر بؤرته المركزية، فالحضور المكثف

ليوسف داخل مسار الحكيم، وهو في الآن نفسه تقليص لألم منبثق من تصرفات شخصية الحاج الطاهر المستبدة، يبرز ذلك من خلال الشكلين التاليين:

The image displays two screenshots of a text concordance tool. The top screenshot shows a window titled 'Concordance for Text [Modified] C:\Users\drh\Desktop\سريير الألم جاهزة...'. The window contains a table with columns 'Text', 'After', 'Seq.', and 'Before'. The 'Text' column lists words like 'يوسف', 'يوسف', 'يوسف', etc. The 'After' column shows the text following the word, and the 'Before' column shows the text preceding it. The bottom screenshot shows a similar window for a different text file, 'سريير الألم جاهزة'. The table in this window shows words like 'الطاهر', 'الطاهر', 'الطاهر', etc. Both screenshots also show a right-hand pane with text statistics and a preview of the text being analyzed.

يتأسس المتن الروائي لسريير الألم على أزواج حاملة وثنائات متصارعة، تتبادل الأدوار بين جلاد وضحية، تنسج معانيها مباني لفظية عاكسة لضوء هارب من بؤس واقع مظلم توطئه معادلة فولاذية يصعب في معظم اللحظات تكسيروها على حلم نسائي مشرب للمتعة في الحياة، وحلحلة رتابة ذكورية محمولة على أكتاف رجال، هذا التداول على ممارسة الحكيم بمنطق ثنائية رجل/امرأة يتبدى بصيغة متعادلة "19 مرة متساوية" تعكسها نسبة ترددها داخل فقرات الرواية، وتلخصها التشفيفات السياقية التالية:

## التمثيلات الثقافية والمخيال الاجتماعي، تيمة المرأة في رواية سرير الألم لهزبة عز

Text	After	Seq.	Before
الرجال	وأشجعهم، كان يجمع بين الحنان ،		كان جدكم العربي من زينة
الرجال	وتشارك بالمعارك ضد الاستعمار. كذا		من النساء من تلبس لباس
الرجال	الذين يهربون من مواجهة العدو		بالجلال تتربصن بكل الجناء من
الرجال	ولم تدم تطيق النظر في ،		مسؤولياته، وهجره لها، كرهت كل
الرجال	كان مقرفا وقطرات عرقه تزكم.		ملابس، وكم كرهته وكرهت كل
الرجال	فقط لتزاح أمي من ألم ،		أن أكون مرحاضا لكل قانورات
الرجال	ما طاب لهم من مسكرات		على حركات التبخجات وغنائين، واحسني
الرجال	وهم يدعون في سرهم أن		لحق به، نادى على بضع
الرجال	بصطفون، الواحد وراء الثاني، بحسراء		فزعا أن جمعا غفيرا من
الرجال	ممدودة، قد أبيضت من العطش		وبالجهة المقابلة، كانت أسن كل
الرجال	رجال تكاد وجوههم تخفتي في ،		لمحكك بين الصقوف الطويلة من
الرجال	المصطفون في طابور القيامة مكانك		وكذاك تخاف أن يأخذ أحد
الرجال	كلما ازداد عطشاً، رأيتها في ،		كائن كلما ارتوى من ماء
الرجال	لم يطفوا ناز فرجها المشتعلة		التاريخ... بعدما وجدت أن كل
الرجال	لأبترين، قالت لي إحداهن لقد		مستمعات بجلب أكبر عدد من
الرجال	ربما يوما ما سأنتازل عن .		ورهيبة، وبأنتي مازلت جميلة تخوي
الرجال	قانونهم بتأفف. كم ترحمت الخلف		إنسانة ولست مزيلة يرمي فيها
الرجال	كما هو الممار. لحيه يتسلطن ،		اكتشافه، فكيفها أن الحرب فكرة
الرجال	بعض ، الصدا ؟؟؟ ، ماذا ستخضعن		الغلاب مة ، ضا فة أم الله

Text	After	Seq.	Before
النساء	من تلبس لباس الرجال وتشارك		وأشجع المقاتلين. وكانت بيننا من
النساء	الاستعمار. كذا نسمع عن بعض		النساء
النساء	بالجلال تتربصن بكل الجناء من		أبانت عن أسرارها، وقالت: كانت
النساء	الكادحات ومجانتهن مع التهريب، ولحنت		الاستعداد. تعرفت على أشكال من
النساء	رقم راكمه منذ سنوات، لكنه .		لرقمه القياسي في استعماله طوب
النساء	؟ ربما يصالحي القدر بها، بالتأكيد		أحبها هي دون غيرها من
النساء	والرجال، ولقاء العشق المحموم التزق		أن سمحت الرقابة عرض عورات
النساء	ألم تر الكحل في عينيه ،		إنها أميرة، واليوم دخلت عالم
النساء	لم يتمالك نفسه، وسألها: هل		اختزلت فيها كل خدان وأنوثة
النساء	في فضحته. تذكرت سفره الأخير		الحاج سكينه مرعباً، وتحررت كل
النساء	وأصبحت جاهزة لتكرني أنا. لم ،		ويحت عنها في حضن كل
النساء	سألاعيه، عروس وعريس، كما كنت ،		دخلت الآن حبيبتني إلى عالم
النساء	وأصاف بوجوه: أنتغرب فلا أنهم ...		والقطع مع الربع والميز حد
النساء	تستهويني وتشدني لأحت وأهم سيكولوجية ،		جسد البلد... وهذه الحية من
النساء	لطرق باب الغناء بعدما أومد		السرفات والنهب، لذلك تلتجئ لبعض
النساء	وتكررت للرجال؟ تحاليلها الطبية أكدت		هل ظلمته حين اختارت سف
النساء	أرحب وملي بالأسرار، لن تولى		اختارت أن تكون هي، عالم
النساء	ربما عناداً أنا ، لطف		الطلاء الكه . الحانات العالمة لسف

بموازاة ذلك، تنفتح في الأفق الروائي تعبيرات عاكسة لوضعية تجاذب الشخصيات بصيغها المتعددة، وأماطها الجنسية المختلفة، وسياقاتها الاجتماعية المتباعدة، على محك البياض في مقابل السواد، ورحلة البحث اللفظي عن بنية تركيبية منسجمة، قد تبدد التنافر الناتج عن مسارات سيكولوجية متشردمة، من خلال امتطاء لعبة اللباس ومظاهر الحياة المادية لاسترجاع الضوء المهارب والبياض إلى حضن أنوثة مكابدة ومواصلة، إنها امتدادات الجسد خارج نفسه، امتداداته في أشيائه، في الملابس والعصا والسيجارة وقضبان الحافلات وجسد الآخر... وكذا الابتسامة والضحك والوجه المقطب، دلالات أصيلة تعد المدخل الرئيس إلى الكشف عن الهوية الثقافية للجسد<sup>16</sup>. ليتواصل البحث في مضمرات الحكيم عن سنن ثقافي يعيد وهجها وحياتها المفقودة، إنها تقنية الألوان والتجليات الخارجية للبحث عن الاطمئنان النفسي، تجليها الاشكال المحصلة عبر عملية الكشف السياقي لثنائية البياض والسواد وصوغ متلازمات ذات دلالات إيجابية "قفطان أبيض، سرير أبيض، ذهب أسود، شعر أسود وغيرها:



## على بولعلام

Tokens in: سرير الألم جاهزة

ed C:\Users\drh\Desktop\جاهزة\سرير الألم جاهزة.not

Concordance for Text [Modified] C:\Users\drh\Desktop\ال... سرير الألم جاهزة

Language is "Arabic(ar)".  
Text Delimiter is: \n (NEWLINE)  
Text contains 975 Text Units (TUs).  
89758 tokens including:  
22215 word forms  
116 digits

Text	After	Seq.	Before
واحي سلمات، وكانت جنبها بقضائها الأبيض			
الأول، سلمى، جارتهم اليهودية، بقضائها الأبيض			
الدايفة، استلقت أمي فوق سريرها الأبيض			
بأنتها المختار بخباية، ولون جدرانها الأبيض			
ووحشية، حتى أنه مرّق فستانها الأبيض			
بقضائها وكانت مستلقية على سريرها الأبيض			
على مجتمع الذكور. على السرير الأبيض			
أفهمها. أزال بوعزة قطائني الحريري الأبيض			
بين ذراعي فارسها، مزهوة بقضائها الأبيض			
الأيض، هذه حالنا لأخسف، عندما تتكرنا الأبيض			
الأيض، ونحن نبارك له الهامه الأبيض			

Query 11/11

Tokens in: سرير الألم جاهزة

ed C:\Users\drh\Desktop\جاهزة\سرير الألم جاهزة.not

13890 different tokens

Concordance for Text [Modified] C:\Users\drh\Desktop\ال... سرير الألم جاهزة

Language is "Arabic(ar)".  
Text Delimiter is: \n (NEWLINE)  
Text contains 975 Text Units (TUs).  
89758 tokens including:  
22215 word forms  
116 digits

Text	After	Seq.	Before
وأصاف: صبية رائعة الجمال بتسررها الأسود			
أكثر، يتذكر يوسف ذلك المسام الأسود			
دونكيتوت ميتسما، وخصلات من تاجك الأسود			
توفر، وبضعة حبات من الزيتون الأسود			
البيني، أراحت خصلة من تسره الأسود			
وعمازتي وأنا أبتسم وشعري الحريري الأسود			
العالية أمام المرأة تمسّط تسرها الأسود			
أفكل في عشقه للظلام واللون الأسود			
ووجدت أن جريه وراء الذهب الأسود			
بالبغاية، حافية القدمين، وفستانها الحريري الأسود			
للأمة، لكن لأخسف، تجر الذهب الأسود			
فرض عليها وعلى بناتها اللون الأسود			
والخروج بعد أن ليست جليابها الأسود			

Query 13/13

إن التعبير عن الرغبة في الخروج من شرنقة ثقافة ذكورية، تنعكس في جوهرها على مستوى التلوينات الاشتقاقية للفظ الواحد، وتعدد تمظهراته التصريفية وصيغته ذات الحمولة الزمنية الضاربة في عمق التاريخ، وتوجاته الجيهية المتسمة بالتسويق والمماثلة في حضن الحاضر، والسعي نحو رسم مستقبل المؤنث بتجلياته المربوطة والمبسوطة في نسق متحرك غير ساكن، كل هذا يرتكز الى فعل الكتابة بنفس تحري، يروم صوغ افتراق مع الآخر وارتقاء في آخر مغاير بواسطة الكلمات، فالنص المكتوب امتداد وجودي للذات الكاتبة وتكثيف لأشياء أخرى تتجاوزها<sup>17</sup>، وربط وشائج الابتسامة بالحلم في الحياة والكتابة، بصيغ المفرد والجمع في امتداداتها الفعلية والاسمية، يعكسها الشكل التالي:

## التمثيلات الثقافية والمخيال الاجتماعي، تيمة المرأة في رواية سير الألم لهزة عز

Concordance for Text [Modified] C:\Users\drh\Desktop\سير الألم جاهة...

Text	After	Seq.	Before
قلب كريمة، رغم السواد الذي	ابتسم		إلى حلمي في الحياة والكتابة
لها بخنان ويده المعنى تمسك	ابتسما		حلت وارتحلت. رفع يده اليسرى
بخنان وهي تزوي لهم قصصا	ابتسم		من طلباتهم المتكررة بل كانت
لكريمة ووزعت شلالا من أشعة	ابتسمت		إسكت ودعها تسأل كما تريد
الجدد وهي تخبرهم قصة مقاومة أخرى	ابتسمت		رفاقي بالحركة الوطنية بعد ذلك
وقد اطمأنت على مكان دفنها .	ابتسمة		الفجر، كانت قد ودعت الحياة
وهي تقول إن الغالية إن	ابتسمت		، وفاة والدتها المأساوي، سنقرب منها
حتى أنه كان يرى دارهم .	يبتهمون		بمساعدة. يرى كل جيرانه الشهداء
يوسف، وهو يعيد ذكريات حبه	ابتسم		بصرا فسبحا بفساحة عطاياها وحناياها
قلبه وهو يسترجع ذكرى لقاتلها	ابتسم		، مساء الغد مع حبيبته كريمة
وخصلات من تاجك الأسود الذي ،	ابتسما		بين الكتب، كأحد فرسان دونكيتوت
يوسف، وهو يحمن ذكرى بوح	ابتسم		أرافتك لقاء طالما داعب خيالي
بمرارة لو أصبحت بحادث، لمألبيت	يبتهم		وربما سجن... فكر مصطفى وهو
له، فصاح أكثر. ومرة أخرى	بتبسمان		بالليل، ثم رأى مليكة وأميرة
وهو يعرّف بنفسه مصطفى، على	ابتسم		..بوابرها معلقة بتلابيب سروال أفعالي
لها وهو يقل أصابعها ويدها	ابتسم		، مستكفنا، مستكفنا، مستكفنا بحناياها وأمسائها
هي لسؤاله الساذج الذي أنتج	ابتسمت		هل تحبيني كما أحبك كريمة؟؟

Query 55/55

Desktop\سير الألم جاهزة.not

Language is "Arabic(ar)".  
Text Delimiter is: \n (NEWLINE)  
Text contains 975 Text Units (TUs).  
38753 tokens including:  
.....

سأجيبها؟؟ ويكت حتى فقدت الوعي، وكان لا بد لي أن أحضر ربما تساعديني في تحقيق  
سأصل بها أعذك، وأعطيك رقم هاتفها أيضا إذا رغبت. حدثني أولا كيف التقى الحاج بال  
كان والد الحاج الطاهر. الحاج إرييس من الأعيان الجدد، الذين حصلوا بعد الاستقلال على  
إطار مخطط الاستيطان الذي كانت تنهجه إبان احتلالها للمغرب ونزف ترواته. قبل أن يت  
المملكة. كانوا بالمسترات، ورتوا من الاستعمار. وورث فرائك. لم يكن إرييس مقانما، ك  
يصنع البلمة الفاسية لكنه كان مكررا حاد الكفاءة، لا تقوته شاردة من أخيار الصناع ورو  
ويستدرج المقاومين لمعرفة أخبارهم. انتهبوا أنه بعد ذهابه دائما يتم القبض على بعضهم،  
منه..

بعد سنوات عديدة، رجع إلى فاس، يحكي عن بطولاته ومقاومته للاستعمار بالدار البيضاء  
كل رفقاءه المقاومين استشهدوا، كما قال، ولم يكن هناك أحد ليؤكد أو ينفي حكايته. وهكذا  
اقتنى محلا كبيرا وغير منفتح، اتجه لتجارة الطي الذهبية تزوج من أسرة عريقة فاسية  
أما والذي، جالتي، فقد كان أيام الاستعمار، نظرا بمزرعة الفرنسي فرائك، كان شابا قوي  
فرائك لما لميس أمانته وتقائه بالعمل، ارتبط بالمزرعة، والأرض. كان مزارعا بثارنا،  
ملحه المستمتر فرائك بيتا مستجيرا بالمزرعة، وقربه منه. كان أي يرى نظرات الاحتراق  
والانتقال تحت أمرته، كان يسير لكل الكلام الجارح ولا يرد، يصقون على الأرض تت  
ولا يهتم أبدا وظلت ابتهامته تثير وجهه... إلى أن اختفى ذات غفلة.  
بحث عنه المحرك الفرنسي كالمجنون لتصفيته بعدما تأكدوا أنه كان يوصل أخبار لقاء  
يدي المقاومين. أصبحت سيره بطولته والذي على كل لسان، أما هو فقد هرب إلى جبال الإ

حين تتلاحم المرأة مع الكتابة تعانق تجربة الخلق وتمارس لذة الاختراق، وتنافس الرجل في سلطة بناها وفق مقاييسه ليغدو الحبر الأسود سبيلا للخروج من أسر الذات ومن الصمت الذي ألزمها التعبد<sup>18</sup>، والبحث عن طرق التنفيذ في كل اللحظات لتشكيل معمارية معجمية نسائية، قد تستدرجها أحيانا إلى العودة للمنجز الأنثوي التاريخي، تمثلته رواية سير الألم من خلال استحضارها لأحداث تاريخية ممتدة في زمن المقاومة والتحرير، تستجلي بعضا منها عملية الكشف السياقي التالية:

Concordance for Text [Modified] C:\Users\drh\Desktop\سير الألم جاهة...

Text	After	Seq.	Before
بالريف، بعد أن زارتها	في سنة 1926م		لجادة أختها المحضن، فوجتها وقد .
تضمرت منها أجيال وأطمن .	سنة 1925		تضمرت منها أجيال وأطمن .
بمركبة آتوا والعمري	سنة 1921		بمركبة آتوا والعمري
انغلت ضابطا إيطاليا	سنة 1927		انغلت ضابطا إيطاليا
يقض إلى أن وافيا العنية	سنة 1943		يقض إلى أن وافيا العنية
شهاد العقاب الحنصالي	سنة 1951		شهاد العقاب الحنصالي
يوم وثيقة الاستقلال، يوم	11 يوفيو 1944		يوم وثيقة الاستقلال، يوم
ساجنا، وتقتض أصامي	الاثنين		ساجنا، وتقتض أصامي
جاهزة الآن، سنحضر	الجمعة		جاهزة الآن، سنحضر
على أينة خالك سلمية	الجمعة		على أينة خالك سلمية
في لأمر أمه الصارمة	يوم الجمعة		في لأمر أمه الصارمة
للب وده ورحاه، ويوم	السبت		للب وده ورحاه، ويوم
ينظروها، فاليوم عطلة	الأحد		ينظروها، فاليوم عطلة
بيوم مسيرة السلام ليوم	الأحد		بيوم مسيرة السلام ليوم

Query 14/14

C:\Users\drh\Documents\Noo\Ar\Syntactic Analysis\TIMEX.nog

Arabic/Arabic syntactic grammar consists of 21 graphs

بلغ من العمر خمس سنوات

Age

على الساعة السابعة صباحا

Heure

الأثنين 27 نوفمبر 2006

Date

من الأثنين 27 نوفمبر 2006 إلى الأثنين 28 نوفمبر 2006

Date

PERIODE

Age

Heure

Date

PERIODE

Age

Heure

Date

PERIODE

وإذا كانت الرواية هي الجنس الأدبي الأقدر على التقاط الأنغام المتباعدة، المتنافرة، المركبة، المتغيرة الخواص لإيقاع عصرنا و رصد التحولات المتسارعة في الواقع الراهن<sup>19</sup>، فإن بنيتها اللغوية تراهن في تحقيق ذلك على أنماط تعبيرية متعددة، حيث تحتل التعبيرات المتعددة المفردات حيزا هاما عبر حكي مسكوك ومتلازم، يمكن رصد بعض نماذجه عبر الشكل التالي:

The screenshot shows a concordance tool for Arabic text. The main window displays a list of words and their occurrences in a text. The table has columns for 'Text', 'After', 'Seq.', and 'Before'. The 'Text' column lists words like 'الكرة لعبة الموت والفرصى والتخريب', 'الموت والفرصى والتخريب', 'الشرطي، كان يحب أن يلعب', 'العريس. وفي يوم العرس بعد', 'معدّة، النبهة فقط من يسلك', 'البقاء، والكراسي الفارغة، التي يقل', 'عجيبة فعلاً أصحابها يشقون السباحة', 'الحياة أيضاً متسلحة بتجاربه ودروسه', 'يتسلون بها، حتى يحركوا بعضا', 'الموت والجهل، لا يريدون أن', 'الموت والظلم، وتحب الأطفال، لذلك', 'السلام والحب، هي ولدت بدون', 'الأمم والمصالح. كان حسن يستمع', 'الأمم والمصالح. صرخ فريد: هذا', 'يتقها الإنسان بامتياز. كان هناك'. The 'Seq.' column shows the sequence number of each occurrence. The 'Before' column shows the text immediately preceding each occurrence. The right panel shows statistics: 'Language is "Arabic(ar)"', 'Text Delimiter is: \n (NEWLINE)', 'Text contains 978 Text Units (TUs)', '38753 tokens including:', '3215 word forms', '116 digits'.

إن وضع الكلمة لا يكون له وجود إلا من خلال علاقتها بالكلمات الاجتماعية الأخرى على حد تعبير باختين<sup>20</sup>، حيث تعيش داخل أنساق ثقافية عاكسة لهندسة اجتماعية محددة، وكل منحى يريد الاكتفاء على معنى الكلمة في ذاتها سيؤدي حتما إلى فقدانها مدلولها البيئي، الذي تستقيه من تفاعلات اجتماعية متواصلة وأحداث تاريخية وتصور أفعها للعالم، وبذلك تظل البنية المعجمية لسرير الألم مفتوحة على واقع نسائي بإخفاقاته وتطلعاته، متوسلة للممة خيوط متناثرة حول وضعية المرأة المتأرجحة بين النمطية وبناء الذات الفاعلة.

### ب- النسق الثقافي بين الإبداع وإعادة إنتاج الهيمنة:

إن طرح إشكالية النسق الثقافي في علاقته بمنظومة إعادة إنتاج الهيمنة والبحث عن بدائل إبداعية لتمكين المرأة، يشكل مدخلا مركزيا للإسهام في إثراء النقاش حول التمثلات الثقافية حول المسألة النسائية داخل المنظومة المجتمعية، وذلك من خلال التركيز على البنيات الموضوعية للمجتمع العربي في تفاعلها مع نمطية الصورة داخل المخيال الاجتماعي، أو بعبارة أخرى البحث عن المحددات المنتجة للتمثل الثقافي الجنساني داخل الفضاء العام، باعتبارها نقطة ارتكاز لتشكيل البنية القيمية المجتمعية عبر سيرورتها التاريخية، حيث سعت مختلف المقتربات المنهجية في أبعادها السوسولوجية والأنثروبولوجية والسيكولوجية إلى إمطاة اللثام عن مضامينها، عبر صوغ مجموعة من الفرضيات انصبت في جوهرها حول مساءلة الكينونة الوجودية للمرأة داخل الأنساق الثقافية لبنية مجتمعية تحكمها هيمنة ذكورية، غير أن استجلاء المعنى المضمرة لهذه المسألة ورصد أيقوناتها وعناصرها الدلالية الإشارية والرمزية ومنحنياتها التأويلية، يرتكز حتما إلى اعتماد مقارنة نظرية تتمحور من مقومات رؤية سيميولوجية، تمتلك الأسس المنهجية والأدوات الاجرائية لتفكيك المكون الثقافي في ارتباطه بتحليلات صورة المرأة داخل المنتج الرمزي.

هذا الطرح الإشكالي المزدوج يتمفصل حول أطروحتين فكريتين، تشكل المكونات الإبداعية لرواية سرير الألم إحدى تحليلاتها، حيث تتوزع الأدوار المحورية للشخصيات المؤثرة لمختلف شذراتها ومقاطعها، بين البحث عن الخلاص من بعبع الألم

واستشراف أفق جدوة أمل من داخل دائرة ذكورية مغلقة، وبين السير على درب بلورة نموذج نسائي بالعودة للذات واستجلاء مكامن قوتها وتطوير إمكاناتها الوجودية عبر نسق إبداعي منفتح.

### 3. مساءلة الوضعية النسائية من داخل الدائرة الذكورية المغلقة:

تعكس رحلة البحث عن فارس الأحلام داخل المتن الحكائي للرواية الرغبة في ملممة خيوط متناثرة أقرب إلى حذما من وضعية المستجير من الرمضاء بالنار، إنه نوع من التشظي ولحظة مفارقة تستجليها كيفية تشكيل صورة المرأة حول ذاتها من خلال تمثّل ذكوري، وصورة يكونها مغايرها الرجل عنها من خلال المخيل الاجتماعي السائد، في هذا المنعطف توجد فجوة مطبوعة بخصائص التشويش والالتباس، وتنمو التصورات المغذية لنزعة دونية للمرأة، قد أسهمت في إعادة إنتاجها من خلال انضباطها لذهنية ذكورية مهيمنة، لكن تتخللها أحيانا لحظة انفلات من قسوة حكم جائر عبر تلميحاً لشخصيات ذكورية، تجسدت في مواقف يوسف، حيث "استسلم لكرمة عن حب وطواعية، وكان سهم لوكايب قد أصابهما معا، فأصبح يوسف جرحها وبلسمها، وأصبحت كريمة داءه ودواءه"<sup>21</sup>، هذه السيرورة العلائقية عبر تسلسل الأحداث وانبثاق لحظة تفاعل مكثف بين شخصيتين متباينتين جنسيا ومتناغمتين نوعيا عبر مشترك ثقافي أطر انهماقهما الذاتية، وقلص الفجوة لتبرز ملامح الندية والسير بسوية على دروب العلم والمعرفة على يدن الفلسفة الرشدية ذات الأساس المعرفي العقلاني.

ورغم هذا الانفلات اللحظي من أسر الهيمنة الذكورية، تظل السمة البارزة لصورة المرأة عبر مختلف الجسور العابرة للمتن الحكائي للرواية ذات صبغة نمطية، تشتغل في فلك تدوير الإشاعة حول أوضاع سلبية تائهة في مسالك عشوائية وغوغائية حاطة بالكرامة غير مستباحة أنثويا ورمزا لفحولة ذكورية، هذا المنظور الانفصامي الذي يخفي خلفه زخم من المضمرات والمقنعات نظرا لارتباطها بالعديد من المحرمات والممنوعات الأخلاقية والاجتماعية<sup>22</sup>، تتبدى عبره شخصية المرأة المتعددة المتشظية بين نزوات ورغبات اجتهد المتخيل الاجتماعي في استدماج عناصرها ضمن تشكيل شخصية دونية للمرأة، عبر "زمن العهر حبيبي، عهر أخلاقي وسياسي. فساد متفشي في الأجساد والعقول والأقوال والأفعال. زمن انقلبت فيه الموازين، عاينت أهالي فرحين بعهر بناتهم وهم ويودعونهم بالمطار للذهاب إلى الخليج، حيث يباع الشرف بثمن بخس، ويقايض مهانة ودرهم. عاينت آباء وأمهات وإخوة، يقفون حراسا على أبواب موصدة إلا من آهات محمومة لبناتهم وأخواتهم وزبناء الشهوة"<sup>23</sup>.

يبدو أنه يمكن أن نعثر على أوضاع ميكروسوسولوجية محصورة، غير أنها تتكرر في الزمن والمكان، حيث تنكشف نفس وجوه الالتباس المؤسس، ونفس الثنائية القطبية الجوهرية التي تتحكم في الولوج إلى موقع استعارات تجمع الرجولة والسلطة<sup>24</sup>، متطية السند الديني في بعده الفقهي البسيط عبر توظيف متحايل لثنائية الحلال والحرام، "أنت حلالي، ملكي، أرضي، أحرثها كما أشاء. هذا هو الدين، لا أخفيك، يوسف، أني كفرت يومها، فأني دين يحلل اغتصابي وذبحي؟؟ ولوح لي بإمكانية طردي من جحيمه، وطرده والدي من جنتها، خصوصا أنه أصبح المصدر الوحيد لبقائها على قيد الحياة. لم أتردد بعدها، استسلمت

لنزوات الحاج ولقدري، وأصبحت الحمل الوديع لسكاكينه السامة، وأنيابه الكاسرة. كنت مستعدة أن أكون مرحاضاً لكل قاذورات الرجال، فقط لتزاح أُمي من ألم مرضها وتبتسم". هذه الوجودية السيكلوجية المضنية تسائل روافد المنظومة الثقافية، وطرق ترويضها لتكريس نمط سلوكي نرجسي يفقد المرأة حريتها في ممارسة حقوقها الشخصية.

سيرورة الانتقال من حال "الكائن" إلى حال "الشخص" لا تتم دفعة واحدة، وإنما تحدث على أطوار، فالتشخص عملية تمتد على مدى الحياة، وتستأنف على وجه الدوام بلا انقطاع، وما من انقطاع إلا وهو نكوص إلى حال الكائن الخام. وثمة الإنسان، وهو أفق يسعى إليه الشخص<sup>25</sup>. هذه النزعة الأنثوية السائرة في أفق البحث عن أمل منشود، عبر ثنايا الحكيم في سياقات وأوضاع اجتماعية متناثرة، تظل الحلم الأبدي لجل الشخصيات بصيغة المؤنث، إنه مسار متعب للبحث عن الذات في صيغتها الشخصية، وتخليصها من شكلها الكائني، ومواجهة حالة الكائن الخام الخاضع لنزوات ذكورية متعددة، حالة الرفض للإيقاع في شبك التشبيء تردد في لحظات متكررة من الحكيم، فرغم الإغراءات ظلت الشخصية الأنثوية مستمرة في البحث عن شخصانيتها، "حاول عمي الديني، المعطي، أن يستميل أُمي ويغريها بقفته الأسبوعية، وزياراته المتكررة وحنانه الزائف، وعندما راودها عن نفسها، وظهرت نواياه الخسيسة، صدته أُمي بجزم وقوة، غاب بعدها عن الأنظار ولم يتعرف علينا أبداً.."<sup>26</sup>.

هذه الوجودية المتأرجحة بين خطين متوازيين ممتدين عبر منحنيات الحكيم، ترسم نوعاً من الضبابية في الأفق النوعي للأمل النسوي، تتقاطبها لحظات مفارقة بين إرادة تمنيع الذات وتحسينها من خلال إعادة بناء منظومة اجتماعية بمفاصل أنثوية، ورمزية شكلية في نسج خطاب معسول تندس في ثناياه سموم هيمنة ذكورية، تلك إذن انعكاسات رجوع الصدى لتغذية راجعة تعيد صوغ السؤال، ما العمل لتجاوز حالة الانفصام؟

#### 4. الفعل الإبداعي النسائي والتمركز حول الذات:

إن امتداد الشتاء الطويل في الزمن الأنثوي أثار جدلاً صاحباً حول مآلات الحركة النسائية الفاعلة من داخل أنساق ذات حمولة ثقافية ذكورية، تلك هي البداية لصوغ السؤال عن علاقة المرأة بذاتها خارج كل سيرورة اجتماعية مكرسة لوجودية تتعارض حتماً مع منظومة التوازن المتحرك، وانطلاق فعل حركي نسائي متعدد الأبعاد تحكمه دينامية متمركزة حو الذات، عبر تشكيل أنساق تنظيمية نسائية مستقلة عن مؤسسات إعادة إنتاج الهيمنة الذكورية، هذا المنحى أسهمت فيه العملية الإبداعية بقسط وافر، حيث بدت في الأفق معالم كتابة إبداعية نسائية مؤسسة لتصورات فكرية تنأى عن المقاربات المرتكزة على الدفاع بالوكالة عن المسألة النسائية، والقفز نحو أفق جديد يسعى إلى تثبيت الذات من خلال الذات عبر استمالة الآخر في الفعل النسائي المبادر، ولعل الكتابة النسائية الروائية شكلت أسساً قاعدياً لتكريس هذا التوجه الدينامي داخل الحركة النسائية، منتهجة في ذلك أسلوب التعالي عن التعارض الثقافي بين مذكر ومؤنث، والاتجاه نحو الوعي الفكري والمعرفي، إنه الأدب الذي يستحضر علاقة الكتابة بالوعي منطلقاً من رؤية معرفية تسعى لتفكيك كل نزعة تؤمن بمركزية الرجل وتناضل من أجل إثبات الهوية<sup>27</sup>.

وفي هذا الاتجاه، فقد أسهمت الكتابة الأدبية للمرأة العربية تاريخياً في تحرير المرأة، وفكرها من استيلاء الرجل حقها في التعبير عن وجودها الإبداعي ونقل مكنونات ذاتها للمتلقي حتى يرى صورتها الحقيقية، دون زيف ودون وسائط مادية أو فكرية تحول بينها وبين المتلقي، فكان لابد للمرأة العربية من اتجاهات فكرية تؤسس من خلالها رؤيتها للواقع والذات والعامل الخارجي لكي يتسنى لها نقل فكرها للآخر دون وسائط<sup>28</sup>. إنها الرغبة السرمدية في البحث عن التموقع والمهابة خارج النمط الشهرزادي الذي امتطى الحكيم بنعمة التعاويد والاحتماء بغيش الليل لتخليص الذات من خطر داهم يهدد الأنوثة في كل لحظة، نحو حكي واعي مؤسس لخطاب تثبيت الذات وانتزاع اعتراف الآخر، وممارسة كل أشكال البوح دون أبه باجترارات الماضي الأليم، كريمة البطلة بين عزها وشغفها وأحلامها اليقظة اتجاه يوسف الشاب المثقف، وذها ومهانتها في دوامة درامية هندستها مسلكيات ثقافية تجسدت في نرجسية الحاج الطاهر الشخص المرم القادم من زمن البؤس واليأس والمزود بخيوط عنكبوتية لنسج ألم رمزي.

إن سريان البحث عن مدخلات حقيقية لتأسيس ثورة من الجذور، والابتعاد عن مقاربة الآثار النفسية المتبدية على مستوى أغصان شجرة المشاكل المشخصة لبون اجتماعي ذي حمولة ثقافية تمتح من نفس جنسي، هو رهان تتطلع إليه الحركة النسائية بشغف كبير، وفق منظور لا يرتكن لحميمية الوحدة باعتبارها حميمية مزيفة، لأنها تبطل الركيزة الأساسية للشخص الإنساني أي اللقاء مع الآخر،<sup>29</sup> بل تراهن على فورة اجتماعية تعيد نسج علاقات اجتماعية متوازنة قائمة على منصة ثقافية متوازنة ذات دلالة جندرية، فرحلة البحث المتواصلة لشخصيات الرواية بصيغة المؤنث عن ممارسة اجتماعية منصفة، ترسو أحيانا على مسلكيات ثقافية راقية من صنع ذكوري، وتصطدم أحيانا بمرفأ سفينة اجتماعية مهيمنة ومجولة بذهنية متكلسة، ربانها كائنات آدمية فاقدة لحس الشخصنة والاعتراف بكيثونة أنثوية مجسدة للكرامة والإنصاف والمناصفة والتميز. فهي وضعية بمثابة كابوس يلاحق المرأة في حلها وترحالها، "انتقلنا لبيت جديد، بعد طلاق والدي، وسكننا مع خالي محمد وزوجته رشيدة. كان أصغر من أمي سنا، لكنه كان يُعِدُّ عليها أنفاسها، ويجاسبها على كل حركاتها. لقد كانت مطلقة، وأصبحت وصمة عار تلاحقه، خصوصا عندما كان يرى نظرات الشهوة من رجال الدرب تتبعها. كان الكل يميّ نفسه بمضاجعتها، أليست مطلقة جميلة؟".

خط الالعودة أصبح من رابع المستحيالات، وعملية السير متواصلة بخطى ثابتة وبطيئة في الآن نفسه، تلك إذن الذبذبات العاكسة لتموجات الشخص داخل البنية السردية لرواية سرير الألم بأكملها، تنفلت بعض اللحظات لتسرع الخطى نحو قلب عتبة النص، من سرير ألم إلى فراش أمل لا تفصله عن قاعدته الصلبة إلا دينامية حركة نسائية مبتعدة عن تيه ذكوري واهم ومثبثة برشاد أنثوي حالم. والتخلص من بنية الانكسار والشحن نحو أفق الشبقية الواعية والرغبة في الحلم والكتابة.

## 5. خاتمة:

بنفس إبداعي متميز، نحتت الأدبية المغربية زهرة عز مسارا روائيا وقصصيا في دروب الإنتاج والتصنيف، مجسدة بذلك، شهرزاد الرواية المغربية، ذلك الحلم السرمدى الذي لازمها منذ نعومة أظافرها تهفو من خلاله إلى نسج خيوط الحياة عبر التماهي مع طقوس الكتابة، تحدوها رغبة أكيدة لممارسة فعل البوح الوجودي عبر مساءلة لولبية للتاريخ ومنعرجاته، والسعي الحثيث صوب رصد البياضات العاكسة لتضميناته والانزياح عن تمويهاته ذات الصدى التعييني، فكان التآلق حليفا للممارسة الإبداعية للأدبية العصامية الوافدة من حقل الصيدلة، لتقع بين فكي نسق مزدوج تؤثته الانتاجات الرائدة ذات البعدين الروائي والقصصي.

وليمة لأعشاب الحلم، سرير الألم، ومراة خبز وقمر، حلقات متواصلة لكتابة واشمة لطرق الحكى لدى الأدبية زهرة عز، تجاسرت كلها داخل بنية إبداعية متراسة، تنبعث من ثنايا المسافة الفاصلة بين الألم والأمل، ممتطية في ملمة تلايبيها لعبة الحكى السردي وفق توليفة لغوية مجبوكة، وأسلوب حكاوي تشويقي يمتح من عمق الوصل التاريخي، وينجذب في الآن نفسه لمحاولة عيش في مفاصل واقع مرير تشم من ثناياه رائحة الرغبة في تشكيل رؤية لعالم الكاتبة الخاص عبر امتطاء وضعية شخوص متعددة تتراقص داخل رقعة الحكى والقص، تنجلي خيوطها بعدما تتبدد أمامها أحلام يقظة تسكن هواجس أنثى ضد أنوثة حاملة لبذرة ذكورية تنأى بها عن أفقها المأمول.

السييل الجارف من الأحداث عبر تجلياته المتعددة، والكثافة الرمزية للتدافع الحضاري والتلاقح الثقافي تتشكل عبره أهم التيمات المؤطرة للأعمال الأدبية للبوّة الرواية المغربية، حيث تتعقب فحول المشهد الفكري عبر الأزمنة والعصور، علها تجد خيطا ناظما لبلورة منصة قيمية، قد تسعفها في إعادة طرح سؤال الكينونة الوجودية، مستلهمة الدلالات والإشكالات الرشدية من خلال المنتدى العالمي للفلسفة والتنوير، والعودة للذات قصد تخليصها من خفافيش الظلام، ووعيتها التام بأن الأفكار لامتوت رغم خضوعها لجدلية الخفاء والتحلي، وتساقوها داخل أزمنة التاريخ التي تتناجها محن ونكبات تطال رموز الفكر والثقافة.

تجول الكاتبة المبدعة من خلال استحضارها لمخيال اجتماعي جغرافية الوطن، تعيد عبر تمثلاته الثقافية إعادة إنتاج وقائع وأحداث مفترضة، مستحضرة شهامة الأبطال ورموز الكفاح وشجاعة الأجداد والجدات في صد المستعمر العاشم، تتخلل هذه النشوة البطولية تيمة المرأة المتعبدة بهيمنة ذكورية، وضنك العيش في دوامة عنف رمزي سائل يتجدد باستمرار، بقدر معاناتها داخل أمكنة تهدد قاطنيتها بالرحيل عبر حيوات متجاوزة، والبحث عن لذة الحياة داخل حلم تؤثته الأموات، لم يكن اللقاء حارا، آهات وأنين وانبعث للأمل لحظة لتعود سمفونية الخطيئة الكبرى لتقضى مضجع المهمشين والمحرومين والمقهورين والمهدورين، ذلك هو ديدن سرير الألم في امتداداته وتعالق تيماته المتنوعة حيث تتداعى كل الشرور لتنفلت قيمة الأمل من قمقم الحياة، وهي انعكاس لأهمية الرواية في التعبير عن التعقيدات والهموم والمشاكل التي تواجه العرب الآن وفي المستقبل، وسبر المراحل الأكثر أهمية في حياة الشعوب، إذ تقرأ أفكار الناس وأحلامهم وطموحاتهم، خاصة حين يعجز هؤلاء عن ترجمة هذه الأفكار والأحلام إلى

أقوال واضحة أو إلى أفعال ملموسة، وربما ليس من المبالغة القول أن الرواية تنمو وتزدهر حين تعم المأساة ويزيد الظلم ويقوى التناقض، في تلك اللحظات التاريخية الهامة تصبح الرواية لسان الناس والمرأة التي يرون فيها أنفسهم<sup>30</sup>.

هذه إطلالة خاطفة على المسار الإبداعي للأدبية زهرة عز من خلال روايتها الأسرة سبكا وحبكا، لتتضاف لباقي أعمالها الأدبية المتميزة، مشكلة بذلك وجبة إبداعية دسمة استشعرت أرض الكنانة منسوب لذتها لتتوجها بجائزة تكريمية بتاريخ 17 أكتوبر 2018 من طرف وزير الثقافة الأسبق الدكتور شاكر عبد الحميد رئيس مهرجان الكتاب والاعلاميين الشباب، تعكس في طياتها جودة الحكي والقص الواشم للقلم الذهبي لشهزاد الرواية المغربية.

## 6. الهوامش:

<sup>1</sup> - تستعمل كلمة نسائية رديفا للكلمة الفرنسية *féminine* ومصطلح النسوية ترجمة للفظة الفرنسية *féminisme*، والمقصود بالنسوية هي ذلك الوعي الفردي والجماعي بعدم التكافؤ في العلاقات الاجتماعية بين المرأة والرجل، وتلك الإرادة في تغيير هذه الوضعية في أفق المساواة، بينما تعني كلمة نسائية النعت المشتق من كلمة نساء، والذي لا يحيل إلى عقيدة، بل إلى الانتماء لجنس النساء. وقد ظهر مصطلح نسائية في منتصف القرن التاسع عشر، وهو العصر الذي ازدهرت فيه النزعة الانسانية والمطالبة بحقوق الإنسان، حيث يدل على الحركة النسائية التي تنادي بمساواة الجنسين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وإزالة كل مظاهر التمييز الجنسي التي تعاني منه المرأة، والسعي نحو تغيير النظرة إلى المرأة ذات الحمولة الثقافية السلبية وتحطيم كل البديهيات الاجتماعية المكرسة لدونيتها" الاتفاقيات الدولية حول الأسرة في ضوء أصول الشريعة الإسلامية: مليكة نايت لشقر، ص:63.

<sup>2</sup> - عائشة بركاوي - ليلي بوعسرية: الحركات النسائية المغربية بين الذاتية والأهلية المتمردة، المجلة المغربية للإدارة المحلية، العدد 122-123، 2015، ص: 218.

<sup>3</sup> - محمد سلام شكري(2013) الأخلاق والمجتمع المدني ص: 68

<sup>4</sup> - مصطفى حجازي (2006) الإنسان المهذور، دراسة تحليلية نفسية اجتماعية ص: 15

<sup>5</sup> - نقلا عن احمد شارك(1990) الخطاب النسائي في المغرب ص: 43 . 44

<sup>6</sup> - صموئيل فريمان: اتجاهات معاصرة في فلسفة العدالة، جون رولز نموذجاً، ترجمة فاضل جتكر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت لبنان 2015. ص:604.

<sup>7</sup> - العربي ايعيش (2012) اللوبي النسائي المغربي و معركة الثلث في افق المناصفة ص:65.

<sup>8</sup> - BRONCKART, Jean-Paul et SCHURMANS, Marie-Noëlle. Pierre Bourdieu-Jean Piaget: habitus, schèmes et construction du psychologique. La Découverte, 2001.p : 163.

<sup>9</sup> - ظهرت الوظيفية الجديدة كحركة توليفية، تحاول التوفيق بين النظريات بعيدة المدى؛ والنظريات قصيرة المدى، بهدف تقديم وضع عام للعلاقات المتبادلة، متجسدة في فكرة التوازن بوصفها نقطة مرجعية، وليست بوصفها شيئا موجودا في الواقع، فالتوازن هو دائما توازن متحرك، فتبيح طوليل: النظرية الوظيفية الجديدة وتحليل البناء الاجتماعي، مجلة التغيير الاجتماعي، العدد الأول 2018، ص:218.

<sup>10</sup> - زهرة عز: سير الألم، روفد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2017، ص: 7.

<sup>11</sup> - لقد اعتبر جيار جنيت في كتابه " عتبات" البداية من العتبات النصية مثلها مثل العنوان والغلاف وكلمات الإهداء، أي ماسماه النصوص الموازية وأكد على ضرورة الاهتمام بما كواحدة من العتبات الكاشفة عن دلالة العمل المساعدة في قراءته وفهمه، محمد خفيفي: الكتابة بصيغة المؤنث، دراسة في الرواية النسائية بالمغرب، مطبعة النجاح الجديدة 2017، ص:27.

<sup>12</sup> - زهرة عز: سير الألم، روفد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2017، ص: 7.

<sup>13</sup> - زهرة عز: سير الألم، روفد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2017، ص:8.



- 14 - رشيد بنحدو: جمالية بين- بين في الرواية العربية، منشورات مؤسسة نادي الكتاب بالمغرب، الطبعة الأولى 2011، ص: 95.
- 15 - زهرة عز: سرير الألم، روفد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2017، ص: 7.
- 16 - سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، الطبعة الأولى 2013، ص: 133.
- 17 - محمد نور الدين أفاية: الهوية والاختلاف، في المرأة، الكتابة والهامش، إفريقيا الشرق الطبعة الأولى 1988، ص: 41.
- 18 - نهاد مسعي: النص النسوي: خلخلة النسقي... مركزية الأنثوي، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، المجلد 8 العدد 3، 2018، ص: 240-241.
- 19 - محمد هادي مرادي وآخرون: لمحة عن ظهور الرواية العربية و تطورها، دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة، شتاء 1391، العدد السادس عشر، صص 101-117.
- 20 - جواد كاظم سماري الساعدي وحسن مهدي مصطفى الخفاجي: اللغة والصورة الفنية عند جورج لوكاتش، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 30، 2018، ص: 347.
- 21 - زهرة عز: سرير الألم، روفد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2017، ص: 37.
- 22 - محمد فاويار: المرأة، الجنس والخطاب في المغرب، مساهمة في قراءة أعمال عبد الصمد الديالمي، مجلة اختلاف، العدد 8، 1994، ص: 52.
- 23 - زهرة عز: سرير الألم، روفد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2017، ص: 122.
- 24 - عبد الله حمودي: الشيخ والمريد، النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الطبعة الثالثة 2003، ص: 184.
- 25 - محمد الشيخ: في فلسفة محمد عزيز الحبابي الشخصية والغدية، مؤلف جماعي، إعداد وتقديم كمال عبد اللطيف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى 2015، ص: 53.
- 26 - زهرة عز: سرير الألم، روفد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2017، ص: 59.
- 27 - محمد خفيفي: الكتابة بصيغة المؤنث، دراسة في الرواية النسائية بالمغرب، مطبعة النجاح الجديدة 2017، ص: 7.
- 28 - عامر رضا: الكتابة النسوية العربية من التأسيس إلى إشكالية المصطلح، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ب/ قسم الآداب و الفلسفة العدد 15 - جانفي 2016، ص: 5.
- 29 - فتحي المسكيني: المساواة الشخصية بين الرجل والمرأة عند الحبابي، مؤلف جماعي، إعداد وتقديم كمال عبد اللطيف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى 2015، ص: 128.
- 30 - عبد الرحمان منيف: الكاتب والمنفى، هموم وآفاق الرواية العربية، دار الفكر الجديد، الطبعة الأولى 1992، ص: 40.